

المبحث الثاني أوضاع الأندلس قبل الفتح الإسلامي

كانت تسمى الأندلس بشبه جزيرة ايبيريا (إسبانيا والبرتغال حالياً) التي تقع في الجنوب الغربي من أوروبا وتحيط بها البحر المتوسط من جهة الشرق والجنوب، ومن الغرب المحيط الأطلسي، ويفصل شمالها عن فرنسا بسلسلة جبلية هي جبال البرتات، وتتمتع بمناخها اللطيف معتدل الحرارة تنخفض في المناطق الشمالية، فقد حكمها أقوام عدة عبر التاريخ قبل الميلاد وبعده، ومنهم (الفينيقيون، والرومان، والقرطاجيون، والإغريق والوندال أو قبائل الفاندال) في القرن الخامس الميلادي⁽¹⁾

حتى جاء القوط الغربيون، وقد اتسمت تلك المنطقة بالجهل والفوضى والتأخر وتسلبت الكنيسة كما هو حال بقية الأراضي الأوربية، لذلك اشتق المسلمون كلمة الأندلس من كلمة (واندالس) أو (فاندلوسيا) التي هي اسم قبائل الوندال الجرمانية⁽²⁾

إذ كان نظام الحكم انتخابياً فكان المجلس الأعلى للدولة يتكون من النبلاء ورجال الدين يقومون بانتخاب الملك، ففي عام (700م) حدث تغير في نظام الحكم عندما تولى العرش والحكم (غيثشة) بالوراثة عند وفاة أبيه فكان ذلك سبباً في سخط النبلاء عليه لأنه تولى الحكم من غير انتخاب، ولم يكتف بذلك بل عين ابنه ولي العهد مما اضطرت الأحوال وحدث انقسام بين الناس وقامت ثورات عدة حتى وفاة غيثشة، وظهر على الساحة السياسية شخصية (لودريق) الذي كان وراء خلع غيثشة من الحكم وأخذ يلاحق أنصاره الذين فروا هاربين إلى الشمال والبعض الآخر إلى مدينة سبته في المغرب واللجوء إلى حاكمها (يوليان) مطالبين بمساعدتهم وفي الوقت نفسه أقنعوه بالاتصال بالمسلمين من أجل حمايتهم من لودريق لأنهم كانوا يعتقدون أن غاية المسلمين هي الغنائم، وإذا ما تدخلوا سيعودون إلى ديارهم⁽³⁾

كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية سيئة للغاية، إذ كان المجتمع يعاني من الاضطهاد والتمييز الاجتماعي والطبقي بين فئات المجتمع القوطي التي تتألف من طبقة النبلاء القوط والرومان والطبقة الثانية المكدومة من صغار الملاك والفلاحين التي كانت الأغلبية في المجتمع وعليهم دفع الضرائب الكبيرة، فضلاً عن اضطهاد المجتمع ككل لطبقة اليهود الذين عانوا من التمييز الديني والضغط اليومية عليهم⁽⁴⁾

كانت عاصمة القوط الغربيين هي مدينة (طليطلة)، واعتمدت اللغة اللاتينية في المدينة، وانتشرت فيها ثلاث ديانات هي المسيحية واليهودية والوثنية، فقد انتشر المذهب الاريوسي الذي يؤمن بطبيعة السيد المسيح البشرية، بعدها تحول المجتمع إلى المذهب الكاثوليكي، مما زاد الظلم والاضطهاد الاجتماعي لارتباط البلاط الملكي بالكنيسة⁽⁵⁾

(1) ابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي الموصلي النصيبي (ت: 367هـ/977م)، صورة الأرض، الطبعة الثانية، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1939م، ص 108-111؛ الحميري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: 710هـ/1310م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: لافي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت - لبنان، 1988م، ص 1-8.

(2) المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1014هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكرها وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له: مريم قاسم الطويل ويوسف علي طويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1995م، ج 1، ص 140-141.

Ferrin, Emilio Gonzalez, Historia general de al-andalus tercera edicion, editorial AL-Muzara, Espana, 2009, P.61, 149.

(3) ابن القوطية القرطبي، أبو بكر محمد بن محمد بن عبد العزيز (ت: 367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بلا طبعة، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1958م، ص 28-32.

(4) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوبايا، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2009م، ص 150.

(5) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 140-152؛ الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق - سوريا، 2008م، ص 23 وما بعدها.

كانت كل الأحداث التاريخية والأجواء السياسية مهياة لفتح المسلمين للأندلس وعوامل عدة ساعدت وأسرعت في تقدم المسلمين إلى هذه الأراضي القريبة من الساحل المغربي، ومن هذه الظروف سوء العلاقة بين القائدين لوزريق ويوليان بسبب حادثة تناقلتها المصادر التاريخية عندما أرسل يوليان ابنته (فلورندا) إلى طليطلة للتعلم اعتدى عليها لوزريق مما أثار غضب يوليان، وبذلك حاول الانتقام بكل الوسائل والطرق، يذكر ذلك ابن القوطية القرطبي: ((...وقصد طارق بن زياد فرغبه في الأندلس وذكر له شرفها وضعف أهلها، وانهم ليسوا أهل شجاعة.))⁽⁶⁾.

(6) تاريخ افتتاح الأندلس، ص 32-34 .